احتجاج القرآن على اليهود بأصول الشرائع الإلهية الاعتقادية من خلال سورة البقرة

أحمد عبد الرحمن مفتاح
جامعة الزيتونة -كلية التربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد،

فإن الله - سبحانه - بعث رسوله محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ،فبعثه بدين الإسلام الذى بعث به جميع الأنبياء والرسل، وجعل القرآن مصدقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليها، فكان جامعًا لما فيها من الحقائق الثابتة، والمعاني النافعة زائدًا عليها بما شاء الله زيادته، ،وكان سادًّا مسدها، ولم يكن شيء منها ليسد مسده، فقضى الله أن يبقى كتابه حجة إلى قيام الساعة ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة [1.]

ولما كان أهل الكتاب موضع الرجاء في المبادرة إلى الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم لما يجدون من ذكره ، ولما يعرفون من علامته ، وكانوا قد جحدوا نبوّته وستَروه عن الناس وكتمُوا أمره، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وقد أخذت عليهم العهود والمواثيق أن لا يكتموا ذلك، وأن يبيِّنوه للناس دعاهم القرآن إلى اتباع دين الإسلام والإيمان به -صلى الله عليه وسلم-، واحتج عليهم بما عهد إليهم في التوراة والإنجيل، وتقدَّم على ألسن أنبيائهم بالوَصاةِ به، من أصول الدين، وحقائقه وشرائعه التي أمر الله بها في كل شريعة، ،فما أمروا في سائر الشرائع إلا بما جاء به الإسلام من عبادة الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة،[2] ،فقد وافقهم القرآن في أصول الشرائع الإلهية ، وصدق أنبياءهم وكتبهم ،وذكّرهم بما نسوا ،ودعاهم إلى ما دعوا إليه ،وأثبت لهم رسالة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- حتى فيما أوحاه إليه بشأنهم وشأن كتبهم وأنبيائهم من البشارات وأخبار الغيب وتحريف الكتب ونسيان حظ منها ، وقد جاءت محاجة القرآن لأهل الكتاب على طريقة الإطناب لما كانوا عليه من جمود القرائح وفساد العقائد والأعمال ،فكان يبدئ لهم المعنى ويعاد ويساق إليهم القول بطرائق بينة ،وأساليب متنوعة ويؤكد لهم بضروب من التأكيد ، لإفحامهم وإبطال مزاعمهم والرد عليهم [3]،وقد نشر –سبحانه- في غضون تلك المحاورات من الجمل الجامعة في شرائع الدين التي فيها بغية المهتدين ما أقام به البرهان على أنه هدى للعالمين(4)

قال ابن القيم:((فالقرآن العظيم قد اجتمع فيه مالم يجتمع في غيره ،فإنه هو الدعوة والحجة ،وهو الدليل والمدلول عليه، وهو الشاهد والمشهود له ،وهو الحكم والدليل ،وهو الدعوة والبينة))[5] فشافهوا النبي -صلى الله عليه وسلم- بالمجادلة، وخاصموه بالباطل ليردّوا الحق الواضح الجلي الذي جاءهم به من عند الله، من بعد ما جاءتهم حجج الله وأدلته وهم أولوا العلم دون الأمم التي لا كتاب لها.

ولما كانت سورة البقرة سورة عظيمة المقاصد مترامية الأطراف ،أساليبها ذات أفنان ، جمعت من وشائج أغراض السور ما كان مصداقا لتلقيبها فسطاط القرآن، بأسلوب جامع لمحاسن الأساليب

1 - ينظر النبأ العظيم لمحمد دراز ص 14
2- ينظر جامع البيان في تأويل القرآن للطبري 259/4 ، وتفسير ابن كثير570/1
3 - ينظر تفسير المنار لمحمد رضا 372/1
4 - ينظر نظم الدرر للبقاعي 113/1
5- ينظر مدارج السالكين لابن القيم 469/3

استلمت الورقة بتاريخ 12 يوليو 2020، وروجعت بتاريخ 19 يوليو 2020، وقبلت بتاريخ 20 يوليو 2020، ومتاحة على الانترنت بتاريخ 21 يوليو 2020

الخطابية، وأساليب الكتب التشريعية، وأساليب التذكير والموعظة،[1] وكانت المائة آية الأولى من صدرها نزلت في رجال من اليهود [2]،وكان معظم أغراضها دائرا حول بيان دين الإسلام واستقامة شريعته ،وجعله على قواعد ملة إبراهيم -عليه السلام، وأن الله ختم به الرسالات الإلهية فقد آثرت أن أقف في هذا البحث المتواضع الذي جعلت عنوانه: **احتجاج القرآن على اليهود بأصول الشرائع الإلهية الاعتقادية من خلال سورة البقرة** مع بعض ما تضمنته السورة من أصول ومقاصد ،تبين وتؤكد صحة وصدق ما جاء به محمد-صلى الله عليه وسلم - ،وأنه لا يعدو إلا أن يكون تقريرا لما جاءت به الشرائع السالفة، فهو في صحف موسى وفي ملة إبراهيم الذي وفىّ،وأن أصول الإسلام ومقاصده وأحكامه الإلهية الأساسية موافقة للرسالات الإلهية،.([3]) .

أهمية البحث: تظهر أهمية هذا البحث في الآتي :

1- إبراز أهمية القرآن الكريم في مخاطبة اليهود بالدلائل الدينية ،والاحتجاج عليهم بما تقدم على ألسن أنبيائهم ورسلهم.

2- بيان اتفاق أصول الإسلام ومقاصده مع غيره من الرسالات الإلهية.

3-. بيان اشتمال القرآن على الهدى والحق والخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو شأن الكتب الإلهية السابقة .

4- إبراز بعض مقاصد سورة البقرة وأغراضها

دوافع البحث:

1- استكثار أزمان تلاوة القرآن وجمع الفكر على تدبره وتعقل معانيه.

2-الوقوف على عظمة سورة البقرة، والاطلاع على بعض خصائصها المعنوية وأساليبها الدعوية وبيان ما تضمنته من أنواع الهدايات .

3- بيان التناسب بين أغراض سورة البقرة، وأساليبها ومقاصدها.

4- الوقوف على بعض مقاصد سورة البقرة وأغراضها

إشكالية البحث:

ذكرت سورة البقرة أصول الشرائع الإلهية، وأكدت وحدة مقصدها، واتفاقها مع مقاصد الإسلام، فما مظاهر تلك الأصول في سورة البقرة؟ وما أهميتها في مخاطبة اليهود والاحتجاج عليهم على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ؟

حدود البحث:

اتخذ البحث من أصول الشرائع الإلهية المذكورة في سورة البقرة والاحتجاج بها على اليهود مجالا للدراسة والبحث.

1 - ينظر تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور203/1
2 - ينظر جامع البيان في تأويل القرآن 251/1
3 - ينظر تفسير التحرير والتنوير108/23 .

منهج البحث:

اعتمدت في الدراسة على عدة مناهج حاولت من خلالها دراسة السورة والوقوف على بعض مقاصدها وأغراضها ،والكشف عن بعض أسرارها وحقائقها ،وهذه المناهج هي :المنهج النقلي، والوصفي ،والاستقرائي، والمقارن، والاستنباطي

تقسيم البحث:

رتّبت البحث على مقدمة، وثلاثة مطالب وخاتمة ، وثبت للمصادر والمراجع تناولت في المقدمة أهمية الموضوع ودوافع اختياره ،والإشكالية التي بني عليها، وحدود دراسته ، ومنهجه وتقسيمه ،ثم خصّصت المطلب الأول للحديث عن أهمية مخاطبة القرآن اليهود بالدلائل الدينية، والاحتجاج عليهم بما تقدم على ألسن أنبيائهم ورسلهم،وخصّصت المطلب الثاني للحديث عن بيان أصول الإسلام وعلو هديه على سائر الأديان، وأما المطلب الثالث فقد بينت فيه اتفاق أصول الإسلام مع ملة إبراهيم، وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها وألحقت البحث بثبت للمصادر والمراجع، وقد حاولت المقاربة في الطول بين مطالب البحث إلا أن طبيعة الموضوعات حالت دون ذلك فجاء بعضها أطول من بعض، وإنني إذ أقوم بهذا العمل فإنني أسأل الله - عز وجل - أن يجعله عملاً صالحاً ولوجهه خالصاً إنه ولي ذلك والقادر عليه .

المطلب الأول :أهمية مخاطبة اليهود بأصول الشرائع الإلهية .

أظهر الله دين الإسلام في وقت مناسب لظهوره، واختار أن يكون ظهوره بين ظهراني أمة لم تسبق لها سابقة سلطان، ولا كانت ذات سيادة يومئذ على شيء من جهات الأرض، ولكنها أمة سلّمها الله من معظم رعونات الجماعات البشرية، لتكون أقرب إلى قبول الحق، وأسرع إلى الانقياد له واتباعه، وأظهر هذا الدين بواسطة رجل منها، لم يكن من أهل العلم، ولا من أهل الدولة، ولا من ذرية ملوك، ولا اكتسب خبرة سابقة بهجرة أو مخالطة، أو مطالعة كتب ؛ ليكون ظهور هذا تحت الصريح، والعلم الصحيح من مثله آية على أن ذلك وحي من الله نفح به عباده.[1] وكان الله -عز وجل -قد وعد – سبحانه- على ألسنة أنبيائه ورسله أن يبعث في آخر الزمان نبيا عظيما يظهر دينه على الدين كله ،وتنتشر دعوته في أقطار الأرض ،وعلى رأس أمته تقوم الساعة ،وأهل الكتاب مجمعون على أن الله وعدهم بهذا النبي ،فالسعداء منهم عرفوا الحق فآمنوا به واتبعوه ،والأشقياء قالوا نحن ننتظره ولم يبعث بعد رسولا، فالسعداء لما سمعوا القرآن من الرسول عرفوا أنه النبي الموعود به فخروا سجدا لله إيمانا به وبرسوله ،وتصديقا بوعده الذي أنجزه فرأوه عيانا[2] فقالوا (سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا).[3]

ولما أراد الله تعالى إعداد البشر لقبول رسالة هذا الرسول العظيم الموعود به -صلى الله عليه وسلم- في التوراة والإنجيل استودعهم أشراطه وعلاماته ونعوته وأوصافه الجميلة على لسان كل رسول أرسله إلى الناس فقال جل شأنه :(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) [4] وأخذ العهود والمواثيق على متابعته ومناصرته ومؤازرته واقتفاء آثاره، والإيمان به فقال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [5] .

1 - ينظر تفسير التحرير والتنوير193/3.
2 - ينظر هداية الحيارى لابن قيم الجوزية 300،301/1
3 - سورة الإسراء من الآية: 108
4 - سورة الأعراف الآية: 157
5 - سورة آل عمران :81،82

ولما كانت بنو إسرائيل من أشهر الأمم المتدينة ذات الكتاب الشهير والشريعة الواسعة، التي انحرفت عن الصراط السوي انحرافا بلغ بهم حد الكفر والطغيان ،وكانوا من أشد الناس عداوة ومقاومة لهدي القرآن وأكثرهم عنادا وجحودا ومباهتة للحق بعد أن كانوا يستفتحون به وبمبعثه أقبل القرآن على مخاطبتهم بالموعظة والحجة والبرهان وتفنن في ذلك ؛فهم أمثل أمة ذات كتاب مشهور في العالم، وهم متأهّلون لقبول الحجة غير مظنون بهم المكابرة والعناد والسفه، ولأن آداب دينهم وكتابهم أكسبتهم معرفة بطرق المجادلة والمحاورة [1] ،فقد كان لديهم من الشرائع الإلهية والأصول الدينية ما يمكن أن يجعل مرجعا في المحاورة والمجادلة يخاطبون به ويقتنعون ؛ بحيث يكونون على سلامة من الزيغ والضلال. [2]

وقد كان العلم يومئذ معرفة التشريع ومعرفة أخبار الأنبياء والأمم الماضية وأحوال العالمين العلوي والسفلي مع الوصايات الأدبية والمواعظ الأخلاقية، وكان اليهود يفوقون العرب في ذلك ،فقد أورثوا الكتاب والحكم والنبوءة والبينات من الأمر؛[3] وجمع لهم المولى- سبحانه- من المحامد التي تتصف بها القبائل والأمم ما لم يجمعه لغيرهم، وهي شرف النسب وكمال الخلق وسلامة العقيدة وسعة الشريعة والحرية والشجاعة، وعناية الله –تعالى- بهم في سائر أحوالهم، [4]وقد أشار إلى هذا قوله: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ) [5] ولكنهم ضلوا بعد تلبسهم بأسباب الهدى والرشاد فعدلوا عن التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ،وأصروا على دينهم بعد ما شاهدوا من دلائل صدق محمد -صلى الله عليه وسلم- وما جاء به القرآن من الإعجاز والإنباء بما في كتب أهل الكتاب، وذلك مما لم يشاركهم فيه غيرهم [6] .

ولما كان الأمر كذلك خاطبهم القرآن في شأن إثبات صدق الرسول بالأدلة الدينية العلمية الموجبة للتصديق ،وأثبت لهم صدق رسالة محمد- صلى الله عليه وسلم- واستشهد على صدقها بما تعارفوه من أحوال الأنبياء والرسل، وذكّرهم ببشارات رسلهم وأنبيائهم بنبي يأتي بعدهم، وما كانت تلاقيه أنبياؤهم من مكذبيهم ،ولم يعرج لهم على إثبات صدقها بدلالة معجزة القرآن ؛إذ لم يكونوا من أهل اللسان وفرسان البيان ،فكان خطابهم هنا بالدلائل الدينية وبحجج الشريعة الموسوية دليل صدق الرسول في الاعتبار بحاله ،وأنه جاء على وفاق أحوال إخوانه المرسلين السابقين فجاء بما جاءوا به، ودعا إلى ما دعوا إليه، وآمن بهم، وأخبر بصحة رسالتهم وصدق نبوتهم وشرعهم[7] فلما جاء الإسلام علم علماؤهم علماؤهم وأحبارهم أن ما صار إليه المسلمون خير مما كانوا عليه في جاهليتهم من الإشراك بالله وعبادة غيره؛ لأنهم صاروا إلى توحيد الله والإيمان بأنبيائه ورسله وملائكته وكتبه ،وفي ذلك إيمان بموسى وعيسى وسائر الأنبياء والرسل -عليهم السلام- ، وأما عامتهم وجهلتهم فقد بلغ بهم الحسد والغيظ إلى مودة أن يرجع المسلمون إلى الشرك والكفر، ولا يبقوا على هذه الحالة الحسنة الموافقة لدين موسى وعيسى في معظمه نكاية بالمسلمين وبالنبيء -صلى الله عليه وسلم [8] ،قال تعالى (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [9] فخاصموا النبي وجادلوه بالتوراة ليدحضوا الحق، فوجدوا التوراة للقرآن موافقة، تأمر بما يأمر به من اتباعه- صلى الله عليه وسلم- وتصديقه ومؤازرته ونصرته ،وتنهى ما ينهى عنه، فليس في الإسلام ما ينافي ما جاء به كتابهم ؛لأن كتابهم يأمر بما يأمر به القرآن، وهو عبادة الله وحده دون إشراك، وذلك هو الحنيفية وهي دين إبراهيم الذي أخذ عليهم العهد به، فدعاهم القرآن الكريم إلى ما دعته إليه رسلهم وأنبياؤهم من التوحيد

1 - ينظر التحرير والتنوير5/21.
2 - ينظر التحرير والتنوير447/1.
3 - ينظر التحرير والتنوير448/1.
4 - ينظر التحرير والتنوير484/1.
5 - المائدة: 20
6 - ينظر التحرير والتنوير483/19.
7 - ينظر التحرير والتنوير484/1.
8 -ينظر التحرير والتنوير669/1
9 -البقرة: 109

والإخلاص والتصديق بالحق والأمر بالفضائل واجتناب المنكرات والرذائل. [1] ، وبما اتفقت عليه الأديان السماوية كلها في الأصول العامة الكلية علما وعملا ، فقال جل شأنه (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) [2] وحاجهم بذلك، وأوصى بأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ،ولطف ولين كلام وملاينة، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد عن الباطل وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك، وأن لا يكون القصد من ذلك مجرد المجادلة والمغالبة والمعارضة وحب العلو، بل القصد بيان الحق وإظهاره وهداية الخلق، ولتكن مجادلتهم لأهل الكتاب مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وما أنزل إليهم، وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم، وعلى أن الله واحد، قال تعالى: (وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ) [3] ولا تكن مناظرتكم إياهم بما يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من الرسل، فهذا ظلم، وخروج عن الواجب وبعد عن الحق وآداب النظر، فإن الواجب، أن يرد ما مع الخصم من الباطل والبهتان، ويقبل ما معه من الحق، ولا يرد الحق لأجل قوله، ولو كان كافرا. وهذا من خصائص الإسلام. [4]، فأمر الله تعالى المؤمنين ألا يجادلوهم بالمحاجة إلا بالحسنى دعاء إلى الله تعالى وملاينة، وقد بيّن القرآن أن إعراضهم عن الحق بعد ما تبين لهم الهدى وعدم اتباعهم له. مرده إلى الحسد والتشهي والهوى ، مع ظهور أحقيته عند علمائهم وأحبارهم ، فإنهم كانوا يعتقدون أنهم محقون في إعراضهم عن دعوة محمد -صلى الله عليه وسلم-لتمسكهم بالتوراة ، وودوا لو يردوا المسلمين إلى الشرك ،أو إلى متابعة دينهم حسدا على ما جاءهم من الهدى من بعد ما تبين لهم أن محمدا رسول الله يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، وأظهروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الضَّغائن، وأبدوا له العداوة والشنآنَ، فكفروا به حسدا وبغيًا ومكابرة؛ ، إذ كان من غيرهم [5]،وقد وبخهم القرآن على تكذيبهم بمحمّد -صلّى اللّه عليه وسلم -ما لا يوبّخه غيرهم من أهل الكتاب؛ بعد أن شهدوا أن الرسول حق وجاءتهم البينات فلم يتعظوا ، ولم يعتبروا ،فقد أَنعمَ عليهم المولى بنعم عظيمة فِي الدِّينِ وَالدنيا، وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين ،فكفروا نعمه وكذبوا رسله وفرقوا بينهم وبدلوا كتبه وغيروا دينه قال تعالى:(ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) [6]، فهم مع شرف آبائهم ،وحق دين أجدادهم وعظمه ،هم من أسوأ أسوأ الكفار عند الله، وهو أشد غضبا عليهم من غيرهم ؛لأن في كفرهم من الاستكبار والحسد والمعاندة والقسوة وكتمان العلم وتحريف الكتاب وتبديل النص وغير ذلك ما ليس في كفر هؤلا [7]، وإذا وعظوا وأنذروا ودعوا إلى الإيمان بالقرآن وبأنه أنزله الله وأن ينظروا في دلائل كونه منزلا من عند الله أعرضوا وقالوا: (قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا) [8] أي بما أنزله الله على رسولنا موسى، وهذا هو مجمع مجمع ضلالاتهم ومنبع عنادهم ،فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن رد نبوة رسول من رسل الله للحسد أو العصبية أو التشهي أو الهوى تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء والرسل ليس إيمانًا شرعيًّا، إنما هو عن غرض وهوى وعصبية؛ ولهذا قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) [9] فوسمهم بأنهم كفار بالله ورسله ،ثم أخبر -تعالى -عنهم، فقال: (أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا) [10] أي: كفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به؛ لأنه ليس شرعيًّا، إذ لو كانوا مؤمنين به

1 -ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن 405/2
2 - العنكبوت من الآية :46
3 - البقرة :40 _43
4 - ينظر تفسير السعدي632/1
5 - ينظر تفسير ابن كثير 383/1 والتحريروالتنوير 198/3
6 -آل عمران : 112
7 - ينظر مجموع الفتاوى لابن تيمية 229/35
8 - البقرة من الآية : 92
9 -النساء من الآية : 150
10 -النساء من الآية : 151

لكونه رسول الله لآمنوا بنظيره، وبمن هو أوضح دليلا وأقوى برهانًا منه، لو نظروا حق النظر في نبوته. فاستهانوا وكفروا ، وخالفوه وكذبوه وعادوا وقاتلوا، فسلط الله عليهم الذل الدنيوي الموصول بالذل الأخروي: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ) ([1]) ،فقد جاءهم العلم المقتضي لعدم الاختلاف الموجب للزوم الدين الحقيقي بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الأعذار بالكلية ،وهو السر في وصفهم بإيتاء الكتاب المنبئ عن كمال تمكنهم من مطالعته والإحاطة بما في تضاعيفه من الأحكام والأخبار التي من جملتها نعوت النبي[2]، وكانوا لما بلغتهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم شكوا في انطباق الأوصاف التي وردت في الكتاب بوصف النبيء الموعود به.[3] ،فاجتنوا لأنفسهم الشر من حيث كانوا أهلا لنوال الخير، فحسرتهم على أنفسهم يوم القيامة أشد من حسرة من عداهم [4].

لقد خاطبهم القرآن بتلك الأدلة والبراهين ليهديهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم ،وليبين لهم أن الذي بعث به محمد- صلى الله عليه وسلم -هو دين الأنبياء الذي اتفقوا عليه من التوحيد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله ولقائه ،وهو الذي أخذ عليه العهود والمواثيق، ووصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ،وأمرهم بإقامته ونهى عن التفرق والتنازع فيه ،وهو الدين الذي شرعه الله لأنبيائه كلهم قال تعالى :(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) ([5]) فكانوا أولى الناس بالالتقاء على على هدي الإسلام الذي ضمّ الأديان كلها، والإيمان بخاتم الأنبياء.

المطلب الثاني: بيان أصول الإسلام وعلو هديه على سائر الأديان.

ولما كانت سورة البقرة هي فسطاط القرآن وذروة سنامه، وكان من أهم أغراضها ومقاصدها إثبات سمو دين الإسلام على غيره من الأديان ،وعلو هديه وأصول تطهيره النفوس، وبيان عظمة شرائعه، وأن هذا الدين واضح العقيدة، مستقيم الشريعة ختم الله به الرسالات السماوية وجعله دينا قيما على قواعد ملة إبراهيم -عليه السلام- هاديا للتي هي أقوم وأودعه أمة وسطا عدولا، ناسب أن تفتح السورة ببيان أصول الإسلام وقواعده التي بني عليها ،والتي بعث بها الأنبياء والرسل عليهم السلام من لدن آدم -عليه السلام- إلى محمد صلى الله عليه وسلم -؛ فإن الله أمر الناس أن يكونوا أمة واحدة على دين الإسلام ((فما من شريعة سلفت إلا وهي حلقة من سلسلة جعلت وصلة للعروة الوثقى التي لا انفصام لها وهي عروة الإسلام فمتى بلغها الناس فقد فصوا ما قبلها من الحلق وبلغوا المراد، ومتى انقطعوا في أثناء بعض الحلق فقد قطعوا ما أراد الله وصله))،[6]، وعلى ذلك أخذ الله العهود والمواثيق على الخلق بأن يتبعوا كل هدى يأتيهم من ربهم ،ويعرضوا عما سواه، قال تعالى : (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ([7])

قال ابن كثير :((قال أبو العالية: الهُدَى الأنبياء والرسل والبيان، وقال مقاتل بن حَيَّان: الهدى محمد -صلى الله عليه وسلم- وقال الحسن: الهدى القرآن)) [8] ،وفي هذا بيان إلى أن الله بعث نبيه -صلى الله عليه وسلم- بالإسلام لإرجاع الناس إلى الحق والتوحيد والهدى الذي كانوا عليه، والذي جاءت الرسل لتحصيله، فحصل بما في الإسلام من بيان القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وضوح الحق والإرشاد إلى كيفية أخذه، وقد جمَعَ فيه- سبحانه- جميع محاسن الكتب السماوية

1 - البقرة من الآية : 61 وينظر تفسير ابن كثير445/2
2 -ينظر تفسير أبي السعود 185/9
3 - ينظر التحرير والتنوير64/25
4 - ينظر التحرير والتنوير483/30
5 - الشورى ، من الآية :14
6 - التحرير والتنوير372/1
7 - البقرة من الآية :38
8 - تفسير ابن كثير1/ 240

السابقة، وكمالاتها [1]من هدايات وأحكام وإرشادات وأخبار صادقة ،وعلوم نافعة، وأصبح بنزوله مهيمناً عليها ، فهو مؤيد ومقرر لما اشتملت عليه من الدعوة إلى الحق والخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الأمين والحاكم عليها والمصدق لها، فما أيده من أحكامها وأقوالها وشرائعها فهو حق ، ومالم يؤيده منها فهو باطل مردود، فهو الذي يشهد لها بالصحة والصدق ،وهو الذي يقرّر أصول شرائعها ويؤكد وحدة مقصدها، وهو الكتاب الذي تتبع كل حق وخير وعدل ومعروف جاءت به تلك الكتب فأمر به، وحث عليه، ودعا إليه وأكثر من الطرق الموصلة إليه[2]. سعدي ،قال ابن كثير :((:((جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها ، جعله أشملها وأعظمها وأكملها ، لأنه - سبحانه - جمع فيه محاسن ما قبله من الكتب وزاد فيه من الكمالات ما ليس في غيره ، فلهذا جعله شاهداً وأمينا وحاكما عليها كلها ، وتكفل - سبحانه - بحفظه بنفسه فقال : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))) [3]

ولما كان دين الإسلام أفضل الأديان، وكان متلقى من أفضل الوحي والكتب الإلهية وهو القرآن وكانت الشرائع السابقة تمهيدا وتهيئة لقبوله واتباعه، ، مهدت السورة لدعوة بني إسرائيل إلى اتباع دين الإسلام بالحديث عن مبدأ النبوة الأولى وما بثه المولى -جل شأنه- في العالم من الخلق والأمر ؛ لتقرر بذلك جنس ما بعث به محمد -صلى الله عليه وسلم -من الهدى ودين الحق ،ولتبين أن أمر التشريع والنبوات والرسالات أمر قديم متصل بنشأة الإنسان ،وأن محمدا -صلى الله عيه وسلم -لم يكن بدعا من الرسل ، ولتنتقل من خلال ذلك إلى خطاب بني إسرائيل وقصة موسى -عليه السلام -معهم ؛إذ هو قرين محمد -صلى الله عيه وسلم -،قال البقاعي :((وأخرهم لطول قصتهم وما فيها من دلائل النبوة وأعلام الرسالة بما أبدى مما أخفوه من دقائق علومهم)) [4] فذكر آدم الذي هو أول ،وموسى الذي هو نظيره تمهيدا لرسالة محمد، وإثباتا لها بأنها تماثل رسالة الرسل قبله ((فبينهما الاتصال بين المبدأ والمختتم، وبين الوراثة والخلافة، وبين الملة الأولى والآخرة)) [5]، وقد أبانت السورة منذ افتتاحها مصدر ذلك الهدى وعلو شأنه ،فرسمت طريق الفوز والفلاح ، وأبرزت أهم معالمه قال تعالى :(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ([6]) فإن معاني القرآن دائرة على التوحيد وبراهينه ،والعلم بالله وماله من أوصاف الكمال، وما ينزه عنه من سمات النقص، وعلى الإيمان بالرسل وذكر براهين صدقهم وأدلة صحة نبوتهم ،والتعريف بحقوقهم وحقوق مرسلهم ،وعلى الإيمان بملائكته وهم رسله في خلقه وأمره ،وعلى الإيمان باليوم الآخر وما أعد الله فيه لأوليائه من دار النعيم المطلق ،وما أعد لأعدائه من دار العقاب الوبيل[7] ؛لذلك جاءت السورة جامعة لقواعد الدين وأصول الرسالات الإلهية الاعتقادية والأخلاقية التي هي أساس كل خير من التوحيد والنهي عن الشرك ،والأمر بالفضائل والمكارم واجتناب الرذائل وإقامة العدل والقسط، وأن الدين عند الله هو الإسلام فمن دان بغيره فهولم يدن لله حقيقة، ولم يتبع سبيل المؤمنين؛ لأنه لم يسلك الطريق الذي شرعه الله على ألسنة أنبيائه ورسله .فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.[8]

وقد ابتدأ المولى -جل شأنه- السورة ووسطها وختمها بالإيمانِ بجميعِ ما جاء به الأنبياء والمرسلون؛ من أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي فقال فِي أوّلها (الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

1 - ينظر التحرير والتنوير 312/2
2 - ينظر تفسير السعدي 234/1
3 - تفسير ابن كثير3/ 128
4 - نظم الدرر للبقاعي 310/1
5 - التفسر الموضوعي لمجموعة من العلماء 61،62/1
6 -البقرة ،الآيات :2-5.
7 - ينظر مدارج السالكين لابن القيم 342/1
8- ينظر مدارج السالكين 331/1

وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [1]،وَقَالَ فِي وَسَطِهَا : (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ) [2] ،وقال (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [3] ، وَقَالَ فِي آخِرِهَا : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) [4]،مؤكدا بذلك التقاء الكتب السماوية السابقة واتفاقها مع القرآن في الأصول والمقاصد والأحكام الإلهية الأساسية مخاطبا بذلك بني إسرائيل ومحتجا عليهم بما بعث به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة ،ومذكرا إياهم بالعهود التي أخذت عليهم بأن يصدقوا الرسل وينتفعوا بهديهم،وأن ماجاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم - هو دين التوراة، ودين الأنبياء السابقين مما يوجب الإيمان بالقرآن وبالنبي محمد- صلّى اللّه عليه وسلّم- وبرسالته التي ختمت بها الرسالات السماوية ، وكون الذي جاء به من عند الله –تعالى- هو من جنس ما جاء ت به أنبياؤهم ورسلهم، إلا أنه أكمل منه على سنة الترقي في البشر، فمن أقر بجنس الأنبياء كان إقراره بنبوة محمد -صلى الله عليه وسلم -في غاية الظهور والبيان ،ولهذا كان من نازع منهم في نبوة محمد إما أن يكون لجهله بما جاء به ،وهو الغالب على عامتهم ،أو لعناده وهو حال طلاب الرياسة بالدين منهم ،فلما أقروا بجنس الأنبياء لم يبق عندهم في محمد شك‘[5]،

قال ابن تيمية :((والله تعالى أنزل سورة البقرة ،وهي سنام القرآن وجمع فيها معالم الدين وأصوله وفروعه))[6] ، فدعاهم القرآن إلى ما دعتهم إليه رسلهم وأنبياؤهم من الإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر، وتنوعت أساليبه في خطابهم ،تارة بالملاطفة والملاينة والترغيب وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم ، وتارة بالتخويف والشدة والترهيب ، وأخرى بتعداد جرائمهم وتوبيخهم على سوء أعمالهم ، وذكر العقوبات التي عاقبهم بها ،فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء ، وهي : (وَإِذْ نجيناكم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ) [7] (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ

البحر }[8] ،(بعثناكم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ) [9] ،(وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغمام) [10] ،(وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ المن والسلوى) [11] (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم) [12]، (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) [13] (نَّغْفِرْ لَكُمْ خطاياكم) [14] (آتَيْنَا مُوسَى الكتاب والفرقان لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [15] ،(فانفجرت مِنْهُ اثنتا عَشْرَةَ عَيْناً) [16].وذكر من سوء أفعالهم وجرائمهم عشرة أشياء : قولهم (سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) (17) واتخاذهم العجل إلهًا يعبدونه،(اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ

1 - البقرة ،الآيات :1-5.
2 - البقرة ،الآيات :136،137
3 - البقرة : 177.
4 - البقرة 285
5 - ينظر النبوات لابن تيمية 202/1
6 - العقيدة الأصفهانية لابن تيمية 212
7 - البقرة من الآية :49
8 - البقرة : من الآية 50
9 - البقرة : من الآية 56
10 - البقرة : من الآية 57
11 - البقرة : من الآية 57
12 - البقرة : من الآية 52
13 - البقرة : من الآية 54
14 - البقرة : من الآية 58
15 - البقرة : من الآية 53
16 - البقرة : من الآية 60
17 - البقرة : من الآية 93

مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) [1]وعنادهم (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) [2] وعصيانهم الله واستهانتهم بأمره (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ) [3] وتململهم وضجرهم من رزق الله(لَنْ لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ) (4)، وتحريفهم الكلم عن مواضعه (ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [5]وإعراضهم وتوليهم(ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) [6] وشدة وغلظة قلوبهم(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) [7]وتلبيسهم على الناس بالكتابة (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) [8]، وكفرهم(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) [9] وقتلهم الأنبياء(وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ) [10] [10] وعصيانهم (بِمَا عَصَوْا) [11]واعتدائهم(وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) [12] ،وذكر من عقوباتهم أشياء : (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ) [13](وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ}[14] (فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ }[15]، (فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ) [16] (فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) [17] (فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) [18])(فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) [19]،وهذا كله جزاء لآبائهم المتقدمين ، قال ابن جزي :((وخوطب المعاصرون لمحمد -صلى الله عليه وسلم- بذلك؛ لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم معتقدون سداد ما فعله أسلافهم)) [20]

وقد شهد الله –تعالى- لنبيه في كل ما أخبر به عن ربه وأمر به بأنه جاء بالحق وصدق المرسلين ؛فإن اليهود ما أمروا في التوراة إلا بما جاء به الإسلام، فإن التوراة أكدت على اليهود توحيد الله وتجنب عبادة الأصنام، وأمرت بالصلاة، وأمرت بالزكاة أمرا مؤكدا مكررا، وتلك هي أصول دين الإسلام وأسسه قبل أن يفرض صوم رمضان والحج، والإنجيل لم يخالف التوراة في ذلك ،فما أمروا في الإسلام إلا بمثل ما أمرهم به كتابهم، فلا معذرة لهم في الإعراض عن الإسلام [21] قال محمد الطاهر ابن عاشور: ((فالإيمان بالقرآن لا ينافي تمسكهم القديم بدينهم ،ولا ما سبق من أخذ رسلهم عليهم العهد باتباعه، ومما يشمله تصديق القرآن لما معهم أن الصفات التي اشتمل عليها القرآن ودين الإسلام والجائي به موافقة لما بشرت به كتبهم فيكون وروده معجزة لأنبيائهم وتصديقا آخر لدينهم)) [22]

فالأديان السابقة كانت تأمر بالتوحيد، والإيمان بالبعث ، وتقوى الله بامتثال أمره واجتناب منهيه على العموم، وبمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال بحسب المعروف، والقرآن يأمر بذلك ويؤكده قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا لَفِي

1 - البقرة : من الآية 51
2 - البقرة : من الآية 56
3 - البقرة : من الآية 59
4 - البقرة : من الآية 61
5 - البقرة : من الآية 75
6 - البقرة : من الآية 64
7 - البقرة : من الآية 74
8 - البقرة : من الآية 79
9 - البقرة : من الآية 61
10 - البقرة : من الآية 61
11 - البقرة : من الآية 61
12 - البقرة : من الآية 61
13 - البقرة : من الآية 61
14 - البقرة : من الآية 61
15 - البقرة : من الآية 54
16 - البقرة : من الآية 55
17 - البقرة : من الآية 65
18 - البقرة : من الآية 59
19 - البقرة : من الآية 65
20- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي 63/1
21 - ينظر التحرير والتنوير480/30
22 - التحرير والتنوير 459/1

الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) [1] وتختلف في تفاصيل ذلك وتفاريعه، ودين الإسلام لم يخل من تلك الأصول والمقاصد ،وإن خالفها في التفاريع تضييقا وتوسيعا، فالإسلام لا يخالف هذه الشرائع المسماة، وأن اتباعه يأتي بما أتت به من خير الدنيا والآخرة[2]، وهذا تفضيل للقرآن على أفراد نوعه من الكتب الإلهية مثل التوراة والإنجيل والزبور ، وفضله عليها بأنه فاقها في العلم بالله وشريعته وإطلاعه على الغيوب الماضية والآتية، وكشفه عن حقائق الآخرة ، وإظهار دينه وشرعه على سائر الأديان، والشرائع ،وفي استيفاء أغراض الدين وأحوال المعاش والمعاد، وإثبات المعتقدات بدلائل التكوين، والإبلاغ في دحض الباطل دحضا لم يشتمل على مثله كتاب سابق، وخاصة الاعتقاد، وفي وضوح معانيه، وفي كثرة دلالته مع قلة ألفاظه، [3] ،فقد أخبر محمد -صلى الله عليه وسلم - من توحيد الله وصفاته وأسمائه وملائكته وعرشه ،وصفة الجنة والنّار ،وَالثواب والعقاب والوعد والوعيد، وكرسيه وأنبيائه ورسله وأخبارهم وأخبار مكذبيهم بنظير ما يوجد في كتب الأنبياء من التوراة والإنجيل وغيرها ، فمن تدبر التوراة والإنجيل والقرآن تراءى له ذلك وعلم أنهم جميعا يخرجون من مشكاة واحدة كما ذكر ذلك النجاشي [4] فهم يشهدون بما جاءت به الأنبياء قبل محمد ، فيشهدون أنهم أتوا بمثل ما أتى به كالأمر بعبادة الله وحده والنهي عن الشرك والإخبار بيوم القيامة والشرائع الكلية ،ويشهدون أيضا بما في كتبهم من ذكر صفاته ورسالته وكتابه ،فجاء بما جاءت به من أصول الدين والشريعة[5] ولهذا كان أهل العلم، والكتب السابقة، والعقل، حين بعث الله محمدا -صلى الله عليه وسلم- وسلم-، بالهدى ودين الحق يستدلون على صدق نبوته وصحة رسالته بأجناس ما يأمر به، وينهى عنه، ويخبر به كما جرى لهرقل [6] وغيره، فإنه إذا أمر بما أمر به الأنبياء والمرسلون ، الذين من قبله، ونهى عما نهوا عنه، وأخبر بما أخبروا به ،دل ذلك على أنه من جنسهم، وأنه مرسل من ربه؛ بخلاف الكذاب، فلا بد أن يأمر بالمنكر، وينهى عن المعروف، ويخالف الحق، وينحرف عنه [7]،فكل ما اشتملت عليه تلك الأديان السماوية من الدعوة إلى الإيمان بالله ورسله وكتبه ،والتحلي بالمكارم والفضائل قد أودع مثله في دين الإسلام، وأكثر من ذلك ، لأن القرآن من أوله إلى آخره يدور على تقرير الأصول النافعة والحقائق والشرائع الكبار والأحكام الحسنة والعقائد الصحيحة، ويوجه العباد إلى كل خير ويحذرهم من كل منكر وشر، ويعيد تقرير هذه الأمور ويبديها بأساليب متنوعة وتصاريف مناسبة في غاية اليسر والسهولة والإحكام والحسن الذي لا مزيد عليه. [8]،فنبوءة محمد -صلى الله عليه عليه وسلم- وكتابه وحكمه وبيناته أفضل وأهدى مما أوتيه بنو إسرائيل من مثل ذلك. [9] قال الطبري :((يقول تعالى ذكره: (إن هذا القرآن) الذي أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يرشد ويسدّد من اهتدى به (لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) يقول: للسبيل التي هي أقوم من غيرها من السبل ، وذلك دين الله الذي بعث به أنبياءه وهو الإسلام، يقول جلّ ثناؤه: فهذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به إلى قصد السبيل التي ضل عنها سائر أهل الملل المكذبين به))[10] فكان نزول القرآن على الرسول- عليه الصلاة والسلام- حجة على أهل الكتاب بما اشتمل عليه من الأصول الأساسية للشرائع الإلهية والعلوم وتفاصيل المواعظ وأحوال الأنبياء والأمم وشرع الأحكام ، [11]

1 - الأعلى : الآيات 14- 19
2 - ينظر التحرير والتنوير25/ 50،51
3 - ينظر تفسير ابن كثير 29/2 والتحرير والتنوير27/ 333
4 - كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده 267/3
5 - ينظر مجموع الفتاوى 192/14
6 -كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سفيان،كتاب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ}52/1- حديث رقم:7
7 - ينظر تفسير السعدي 533/1
8 - ينظر تفسير السعدي 468/1
9 - ينظر التحرير والتنوير 347/25
10 - جامع البيان في تأويل القرآن 392/17
11 - جامع البيان في تأويل القرآن 48/19

قال الرازي:((الكتاب الذي جاء به ليس فيه إلا تقرير التوحيد والتنزيه والعدل والنبوة وإثبات المعاد وشرح العبادات وتقرير الطاعات)) [1]

المطلب الثالث: اتفاق أصول الإسلام مع ملة إبراهيم.

ولما كان دين الإسلام مبنيا على قواعد الحنيفية ،موافقا لأصول ملة إبراهيم ،وكان اليهود ينتحلون ملَّة إبراهيم وليسوا عليها ،وكانوا مجمعين ومتفقين على تعظيمه ومحبته حاجّهم القرآن بأن إبراهيم -عليه السلام -كان حنيفا مسلما ،وأن الحنيفية هي الدين الذي بعث الله به جميع رسله وقرره في جميع كتبه ، وأنه أرسل محمدا -صلى الله عليه وسلم -بالإسلام الذي هو دين إبراهيم ،وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن لا يفرق بين أحد منهم فيؤمن ببعضهم ويكفر ببعضهم ، فهو دين جميع الأنبياء الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه ، فإن الأنبياء كلهم كانت دعوتهم إلى الإسلام، الذي أصله عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بكل ما أوتي النبيون من ربهم كما قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [2]،وهو الفطرة التي فطر عليها عباده ،وأن إبراهيم -عليه السلام- قد دعي إلى الإسلام، وأمرأن يكون مسلما فأجاب إلى ذلك شرعًا وقدرًا : (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العالمين) [3]، وأنه أمر بالإيمان الجامع كما أنزل على النبيين وما أوتوه من ربهم، قال تعالى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [4]ولا يفرقوا بين أحد منهم، بل يؤمنوا بهم كلّهم، ولا يكونوا كمن قال الله فيهم: (وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا) [5]،وأن دعوة الإسلام وافقت دعوة إبراهيم في أسسها وأصولها، وأنها منطوية على الإنصاف وسلامة الطوية بدعوتها الناس إلى الإيمان بالله وما جاءت به الأنبياءُ، وابتُعِثت به الرسل من أولهم إلى آخرهم كما قال: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) وأنها قائمة على العبودية (وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) [6] مبنية على الإخلاص قال تعالى: (وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ) [7] صريحة في أصولها مترابطة متلازمة ،لا ينفك بعضها عن بعض بعض ، فالإيمان ببعضها مستلزم للإيمان بباقيها ،والكفر ببعضها كفر بباقيها قال تعالى:(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) ، بعيدة عن الطعن في شرائع الأنبياء والرسل (لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ) [8] متضمنة أصول الإحسان ومكارم الأخلاق كما قال:(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ) [9] فيها جماع صلاح النفس والجماعة قال تعالى (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا

1 - التفسير الكبير للرازي 1299/1
2 - الأنبياء : 25
3 - البقرة :131
4 - البقرة :136
5 - النساء: من الآية :150
6 - البقرة : من الآية 138
7 - البقرة : من الآية 139
8 - البقرة : من الآية 136
9 - البقرة : 83

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [1] مبنية على العفو والفضيلة والصفح قال تعالى :(فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) [2] اصطفاها المولى وجعلها شريعة مهيمنة على غيرها من الشرائع قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ) [3] أوصى الأنبياء والمرسلون أتباعهم بملازمتها والموت عليها (فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [4]جعل أهلها عدولا خيارا شهداء على الناس قال تعالى (وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) [5] علق الفلاح والهداية على اتباعها في أصولها وفروعها قال تعالى: (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا) [6]وجعل الشقاق والضلال في من جانبها واتبع غيرها :(وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ) [7] وعد الله أن يكفي أتباعها شر أعدائهم ومكرهم (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [8]وبشر أهلها بالأمن من الخوف والفزع (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [9] فهي دعوة لاتباع دين الإسلام الذي بقي على أساس ملة إبراهيم عليه السلام لاستقامته ،وبعده عن الشرك والفواحش والمنكرات، وكان تفصيلا لها وكمالا لمراد الله منها حين أراد الله إكمالها وإتمامها، قال البقاعي :((قال الحرالي : لما وصل الحق تعالى بالدعوة العامة الأولى في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ)ذكر أمر آدم وافتتاح استخلافه ليقع بذلك جمع الناس كافة في طرفين في اجتماعهم في أب واحد ولدين واحد نظم تعالى بذلك وصل خطاب أهل الكتاب بذكر إبراهيم ، ليقع بذلك اجتماعهم أيضاً في أب واحد وملة واحدة اختصاصاً بتبعية الإمامة الإبراهيمية من عموم تبعية الخلافة الآدمية تنزيلاً للكتاب وترفيعاً للخلق إلى علو اختصاص الحق))، [10]

وقد ابتدأ المولى دعوة بني إسرائيل بأمرهم بالإيفاء بالعهود والمواثيق التي عاقدوا الله عليها، والتي من أعظمها متابعة هذا النبي الكريم، والإيمان بكتابه العظيم الذي جاء مصدقا لما سبقه من الكتب السماوية في أصولها وغاياتها الأساسية الصحيحة، وموافقا لملة إبراهيم القائمة على التوحيد والمكارم ،ونبذ الشرك والوثنية. [11]قال تعالى:(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) [12] فأمرهم بأن يؤمنوا بالقرآن مع اندراجه في قوله - تعالى - (وَأَوْفُواْ بعهدي }[13] للإشارة إلى أن الوفاء بالعهد لا يحصل منهم إلا إذا صدقوا به ،قال البيضاوي :((إفراد للإيمان بالأمر به والحث عليه ؛لأنه المقصود ،والعمدة للوفاء بالعهود ،وتقييد المنزل بأنه مصدق لما معهم من الكتب الإلهية من حيث إنه نازل حسبما نُعِت فيها ،أو مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء إلى التوحيد والأمر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش))، [14] وقال محمد الطاهر ابن عاشور:((والمعنى أخذنا ميثاق الأمة الإسرائيلية على التوحيد وأصول الإحسان فكنتم ممن تولى عن ذلك وعصيتم شرعا اتبعتموه)) [15] فنقضوا تلك العهود والمواثيق، واتبعوا آراءهم وأهواءهم .

1 - البقرة : من الآية 177
2 - البقرة : من الآية 109
3 - البقرة : من الآية 132
4 - البقرة : من الآية 132
5 - البقرة : من الآية 143
6 - البقرة : من الآية 137
7 - البقرة : من الآية 137
8 - البقرة : من الآية 137
9 - البقرة : 112
10 - نظم الدرر للبقاعي 238/1
11 - ينظر نظم الدرر 114/1 ومعالم التنزيل للبغوي 87/1
12 - البقرة : 40-43
13 - البقرة : من الآية:40
14 - البيضاوي 76/1
15 - التحرير والتنوير584/1

فقد اشتملت دعوته -صلى الله عليه وسلم- على الهدى الذي دعت إليه أنبياؤهم ورسلهم من التوحيد والأمر بالفضائل واجتناب الرذائل وإقامة العدل والقسط، ومن الوعيد والوعد والمواعظ والقصص، فهي ليست كدعوة اليهود والنصارى القائمة في أصولها على الضلال والكفر كقولهم : (اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) [1]وعلى تكذيب أنبياء الله ورسله وقتلهم(أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) [2] وعلى تحريف كلام الله وتبديله (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [3]وعلى نبذ كتب الله وطرحها (وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }[4]وعلى معاداة الله وملائكته (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ لِلْكَافِرِينَ) [5]وعلى التعنت والاستكبار(لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ) وعلى الدعاوى الباطلة كقولهم:(كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا) [6]وعلى الأماني الباطلة، والأوهام الزائغة كقولهم: (لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْنَصَارَى) [7]وعلى الغرور كقولهم: (لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً) [8]وعلى الحسد الحسد والبغض (مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ) [9] وعلى التفرق والاختلاف كقولهم (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ}[10]وعلى المعاذير الباطلة. كقولهم (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ) [11] ثم لم يكتفوا بذلك ،فصاروا يدعون المسلمين إلى أن يكونوا مثلهم هودا أو نصارى،:(كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا) [12] فرد الله تعالى عليهم بقوله : (بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [13] وصبغة الله التي هي أحسن الصِّبَغ وفطرةَ الله التي فطر الناس عليها (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) [14] ليظهر بذلك أنهم قد حادوا عن الحنيفية التي يزعمون أنهم متابعوها ،وعدلوا عن تلقي دين الإسلام الذي شمل خصال الحنيفية ،وأنهم قد حصروا الهدى في اليهودية والنصرانية، فعلم بذلك أنه رسول الله، وأن ما جاء به حق لا ريب فيه ،وأن ما بعث به -صلى الله عليه وسلم -مشتمل على بيان الحق من الباطل في أحكامه وأخباره، والأمر بكل مصلحة نافعة للقلوب، والأرواح والأبدان والأمر بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، والأعمال الصالحة والآداب النافعة، والنهي عن كل ما يضاد ذلك ويناقضه من الأخلاق والأعمال السيئة المضرة للقلوب والأبدان والدنيا والآخرة. [15] .

فإذا نظر اليهود في القرآن وجدوه مصدقا لما معهم من مقاصد الدين الإلهي وأصوله ووعود الأنبياء والرسل وعهودهم ،وأنه لا غرض لهذا النبي الكريم الذي يدعوهم إلى مثل ما دعاهم إليه موسى والأنبياء إلا تقرير الحق ، وهداية الخلق ، بعدما طرأ من ضلالة التأويل وجهالة التقليد، فقد وافقهم الإسلام في أصل دينهم ، وصدق أنبياءهم وكتبهم وذكّرهم بما نسوا ، وعلّمهم ما جهلوا ، وأصلح لهم ما حرفوا، وزادهم معرفة وعلما بأسرار الدين وحكمته ،وبشرهم ، وحذّرهم وتلطّف معهم وأنبأهم من مكنون علومهم، وخفيّ أمورهم التي لم يكن يدّعي معرفة علمها غيرُهم وغيرُ من أخذ عنهم وقرأ كتبهم، ووعظهم وضرب لهم الأمثال ، ،وذكّرهم بأيام الله ونعمه ، وبيّن لهم تاريخ آبائهم

1 - البقرة : من الآية 116
2 - البقرة : من الآية 87
3 - البقرة : من الآية 75
4 - البقرة : الآية 101
5 - البقرة : الآية 98
6 - البقرة : من الآية 135
7 - البقرة : من الآية 113
8 - البقرة : من الآية 80
9 - البقرة : من الآية 105
10 - البقرة : من الآية 111
11 - البقرة : من الآية 91
12 - البقرة : من الآية 135
13 - البقرة : من الآية 135
14 - البقرة : من الآية 138
15 - ينظر تفسير السعدي 335/1

،وحذرهم من طول الأمد وقسوة القلوب ، وهذا من أكبر الأدلة على صدقه وصحة رسالته؛ فإنه لو كان من الكاذبين، لخالف ما جاء به الرسل، ولناقضهم في أصولهم وفروعهم وشرائعهم، من التوحيد والحق والخير والتبرؤ من الشرك ومسايرة الفطرة والشكر، والسماحة، وإعلان الحق فلا يعدو أن يكون ما جاء به تقريرا **لما جاءت** به الشرائع السالفة فهو تصديق له ومصادقة عليه،(1) ((فإن كتبهم ما وعدت إلا بمجيء رسول معه شريعة وكتاب مصدق لما بين يديه)) (2) ،فلولا مجيئه- صلى الله عليه وسلم - وبعثه لم يكن الرسل صادقين في ما جاؤوا به وأخبروا ، فهو آية ومعجزة لكل رسول قبله، لأنهم أخبروا به وبشّروا بمبعثه، ومخرجه، ومهاجره، وغير ذلك من شؤونه ، ثم قال جل شأنه:(فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ) (3) فإن صدّق اليهودُ والنصارَى بالله، ومَا أنزل إليكم، وما أنزل إليهم من ربهم ومَا أوتي مُوسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، وأقروا بذلك، مثلَ ما صدّقتم أنتم به أيّها المؤمنون وأقررتم، فقد وُفِّقوا ورَشِدوا، ولزموا طريق الحق، واهتدوا، وهم حينئذ منكم وأنتم منهم، بدخولهم في ملتكم بإقرارهم بذلك. (4) { وَإِنْ تَوَلَّوْا) عن الحق إلى الباطل، الباطل، بعد قيام الحجة عليهم (فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (5)

ثم ختم ذلك ببيان أن الإسلام هو وصية أنبياء الله ورسله لبنيهم ومن بعدهم بأن يثبتوا على هذه الملة حتى الموت قال تعالى (وَوَصَّى بِهَآ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ الله اصطفى لَكُمُ الدين فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ) (6) وأن من حاد عن ذلك فقد ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال، فقال : (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصطفيناه فِي الدنيا وَإِنَّهُ فِي الآخرة لَمِنَ الصالحين) (7)

قال الطبري: ((احتج الله لنبيه محمد -صلى الله عليه-وسلم أبلغ حجة وأوجزها وأكملها، وعلمها محمدا نبيه -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا محمد، قل - للقائلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك: "كونوا هودا أو نصارى تهتدوا" -: بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي يجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتباه وأمر به -فإن دينه كان الحنيفية المسلمة- وندع سائر الملل التي نختلف فيها، فينكرها بعضنا، ويقر بها بعضنا. فإن ذلك -على اختلافه- لا سبيل لنا على الاجتماع عليه، كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم)) (8) فأعلمهم أن الإسلام هو الحنيفية، وأن الذي جاء به محمد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- هو الذي كان جاء به إبراهيم، وإن إبراهيم سأل الله أن يكون مسلما، وأنه تطلّب الهدى له ولأمته من بعده بقوله: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ) (9)، فنفى عن إبراهيم موافقة اليهودية، وموافقة النصرانية، وموافقة المشركين، وثبتت موافقته للإسلام، وكل ذلك لا يبقي شكا في أن الإسلام هو إسلام إبراهيم ((فإن التوحيد مستقر في الفطرة، والإشراك مناف لها، فالدعوة إلى الإسلام تذكير لما في الفطرة ،أو تذكير لملة إبراهيم - عليه السلام)) (10) ،قال ابن تيمية:((وإنما بعث الأنبياء بعده بملته قال تعالى : ثُمَّ (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))(11) ثم قال جل شأنه: (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ) (12) فإن صدّق اليهودُ والنصارَى بالله، ومَا أنزل إليكم، وما أنزل إليهم من ربهم ،ومَا أوتي مُوسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، وأقروا بذلك، مثل ما صدّقتم أنتم به أيّها المؤمنون وأقررتم، فقد وُفِّقوا ورَشِدوا، ولزموا

1 - ينظر التحرير والتنوير 108/23
2 - التحرير والتنوير 476/30
3 - البقرة : من الآية 137
4 - ينظر جامع البيان في تأويل القرآن 113/3
5 - البقرة : من الآية 137
6 - البقرة : من الآية 132
7 - البقرة : من الآية 130وينظر جامع البيان في تأويل القرآن 73/3
8 - جامع البيان في تأويل القرآن 102/3
9 - البقرة : من الآية 127
10 - ينظر التحرير والتنوير 185/16
11 - النحل : 123 ،مجموع الفتاوى 202/10
12 - البقرة : من الآية 137

طريق الحق، واهتدوا، وهم حينئذ منكم وأنتم منهم، بدخولهم في ملتكم بإقرارهم بذلك. [1](وَإِنْ تَوَلَّوْا) عن الحق إلى الباطل، بعد قيام الحجة عليهم (فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [2] فغَطَّوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وكتموه الناس مع علمهم بنبوّته، ووجودِهم صفته في كتبهم فاستحقوا اللعن والطرد وباؤو بغضب على غضب قال الله جل ثناؤه فيهم: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ) [3]

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول، وبعد فقد توصلت إلى نتائج كان من أهمها ما يأتي:

1- احتجّ القرآن على اليهود بما عهد إليهم في التوراة والإنجيل، وتقدَّم على ألسن أنبيائهم بالوَصاةِ به، من أصول الدين، وحقائقه وشرائعه التي أمر الله بها في كل شريعة، ولكنهم ازدادوا عناداً وجحوداً ومباهتةً للحق بعد أن كانوا يستفتحون بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبمبعثه.
2- وافق القرآن الكتب السماوية في أصولها ومقصودها ووعودها .
3- جاءت محاجة القرآن لأهل الكتاب على طريقة الإطناب ؛بسبب ماكانوا عليه من جمود القرائح وفساد العقائد والأعمال ،فكان يبدئ لهم المعنى ويعاد ، ويساق إليهم القول بطرائق بينة ،وأساليب متنوعة
4- أقبل القرآن على اليهود وخاطبهم بالأدلة الدينية وتفنّن في ذلك ؛لأنهم أمثل أمة ذات كتاب مشهور في العالم، وقد كان لديهم من الشرائع الإلهية والأصول الدينية ما يمكن أن يجعل مرجعا في المحاورة والمجادلة.
5- احتوت سورة البقرة على مقاصد عظيمة ،وأساليب بديعة ، جمعت من وشائج أغراض السور ما كان مصداقا لتلقيبها فسطاط القرآن، بأسلوب جامع لمحاسن الأساليب الخطابية، وأساليب الكتب التشريعية، وأساليب التذكير والموعظة
6- أظهر البحث أن التفسير الموضوعي يجعل من السورة القرآنية وحدة متكاملة، مقصدها واحد ،وإن تعدّدت موضوعاتها، وتنوعت أساليبها ،وطرائق عرضها.

1 - جامع البيان في تأويل القرآن 113/3
2 - البقرة : من الآية 137
3 - البقرة :159 وينظر جامع البيان في تأويل القرآن 255/1 وينظر أضواء البيان للشنقيطي 35/1

مصادرالبحث ومراجعه

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين الشنقيطي ،دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع بيروت - لبنان 1415 هـ - 1995 مـ

2-التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ،الدار التونسية للنشر تونس1984 م

3-التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ، دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى 1415 1995م

4- تفسير أبي السعود ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،دون ط ،ت.

5-تفسير البيضاوي دار الكتب العلمية تحقيق عبدالله محمود، بيروت ط الأولى 1422ه

6-تفسير القرآن العظيم لا بن كثير تحقيق ،سامي بن محمد سلامة،دار طيبة للنشر والتوزيع ،المملكة العربية السعودية، ط الثانية 1420هـ - 1999 م

7- التفسير الكبير للرازي، دار الفكر، بيروت لبنان، ط الأولى ،1401ه م1981

8-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ،إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن،جامعة الشارقة ،ط الأولى 1431ه

9-تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى 1420هـ -2000 م

10-جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ،تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة
الطبعة : الأولى ، 1420 هـ - 2000 م

11- الجامع الصحيح للبخاري ،تحقيق عبد القادر شيبة الحمد ، ط الأولى 1429 ه ،مكتبة الملك فهد الرياض.

12- العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ،تحقيق إبراهيم سعيداي مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى ، 1415

13-مدارج السالكين لابن القيم دار احياء التراث العربي بيروت ط الأولى 1419 1999م

14- معالم التنزيل البغوي : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع ط : الرابعة ، 1417 هـ

15-النبأ العظيم لمحمد دراز ،دار الثقافة الدوحة، 1415ه

16-مجموع الفتاوى لابن تيمية، اعتنى بها وخرج أحاديثها عامر الجزار، وأنور الباز ،دار الوفاء مصر ،ط الثالثة 1426ه/2005م

17- النبوات لابن تيمية تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان أضواء السلف االرياض ط الأولى 1420
18-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية - بيروت 1415هـ - 1995 م
19- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ،تحقيق محمد الحاج أحمد،دار القلم دمشق ط الأولى 1416ه